

العمل السياسي بين التوافق والتراشق؟!.



الأربعاء 10 ديسمبر 2014 12:12 م

كتب السعيد الخميسي :

العمل السياسي بين التوافق والتراشق؟!.

* يقول الله عز وجل " ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين " . يقول العلماء المفسرون : أن الله قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة أي على دين واحد . لكنه قضى بحكمته وعلمه أن يبتليهم , وأن يبلوا بعضهم ببعض لذلك قال " ولا يزالون مختلفين " أي ما يزال الاختلاف بين الناس على أديان شتى , ومذاهب شتى , وأراء شتى , لأن الباطل متعدد بخلاف الحق فهو واحد . وليس كل خلاف يؤخذ عليه صاحبه , وإنما الخلاف الذي يؤخذ عليه صاحبه ما كان متعلقا بالعقيدة وأصول الدين . أو كان مخالفا للأدلة الصحيحة . أو ما كان مبنيا على الهوى والتعصب . وأما ماسوى ذلك فليس هناك أحد معصوم . خاصة فى مسائل الاجتهاد . حتى على مستوى حظوظ الناس من الدنيا فقد خلق الله الناس متفاوتين متباينين , فهذا شقى وهذا سعيد . وهذا غنى وهذا فقير , وهذا صحيح قوى وهذا مريض ضعيف . وهذا أسود وهذا أبيض , وهذا عالم وهذا جاهل , وهذا عربي وذاك أعجمي .

* إن الاجتهاد ومن ثم الاختلاف فى الفروع وفى الوسائل وفى التوجهات السياسية وطريقة الحكم ونظام الترشح للانتخابات , ونظام القائمة أو الفردي , ونظام الحكم يكون رئاسيا أم برلمانيا , ومدة رئاسة الحاكم وصلاحياته , والحد الأدنى والأقصى , كلها أمور مختلف عليه ولا اتفاق فيها أو عليها . لكن الكل يتفق على أن أي نظام حكم هو خادم للشعب بعقد مشروط ومحدد المدة . وأن الحرية حق للشعب وليست منحة من الحاكم يمنحها ويمنعها متى يشاء . والكل يتفق على أن صندوق الانتخاب هو الحد الفاصل بين الأغلبية والأقلية , وأن التزوير جريمة أخلاقية لاتسقط بالتقادم , وأن المتهم برئ حتى تثبت إدانته . وأن حكم البلاد لابد أن يكون مدنيا خالصا حتى يتفرغ الجيش لمهامه المنوطة به فى الدفاع عن الوطن ضد أعدائه . إن مساحة الاتفاق أكبر بكثير من مساحة التفرق والاختلاف والشقاق , فلماذا التشاحن والتراشق والخصومة والكيد بين أبناء الوطن والقضية جلية واضحة .

* بالعقل والمنطق , هل المطلوب من كل الفصائل السياسية سواء كانت إسلامية أو ليبرالية أو علمانية أو يسارية أن يتحدوا ويتفقوا حتى يصير الكل فى واحد , توجه واحد , خطة واحدة , منهج واحد , لغة واحدة , وسائل واحدة , لاتباين ولاختلاف ولا تناقض ولا تنوع , وكأننا صرنا جميعا كقطع متجاورات من التماثيل المنحوتة المرصوفة التي لاتعنى ولا تفهم ولا تتحرك ...؟. إن هذا الفكر ضد طبيعة الأشياء لأن مكلف الأشياء ضد طباعها متكلف فى الماء جذوة نار . اعتقد أننا بهذا المنطق نسبح عكس تيار العقل والمنطق وأصول الأشياء . لأن التوافق يعنى الاتفاق والتفاهم على المساحة المشتركة من المبادئ والأسس العامة التي لا يختلف عليها اثنان ولا يتناطح فيها عنزان .

* دعونا نتفق على أن يسع بعضنا بعضا رغم الاختلاف والتباين والتناقض . إن التوافق أن يقبل كل منا الآخر ويستمع إليه ويتعرف على وجهة نظره وبرنامجه وخبطه برحابة صدر دون إسفاف أو تحقير أو تخوين أو تشويه أو تشويش . فلا أحد يمتلك الحقيقة كاملة , ولا أحد على الصواب الكامل وغيره على الباطل التام , ولا أحد يمتلك حولا سحرية لحل مشاكل الوطن والآخر فاشل لا يفهم ولا يعنى . كلنا مجتهدون نخطئ ونصيب . إن سجادة السياسة كبيرة وتسع كل الأقدام للوقوف والاصطفاف عليها , فلما يركل بعضنا بعضا ويدفع بعضنا بعضا ويقصى بعضنا بعضا ...؟ . هل نتفق على هذا المفهوم ..؟ إن اتقنا فقد اقتربنا خطوة أخرى من بعضنا وردمنا جانبا من الحفرة التي بيننا .

* التوافق يعنى أن الاحتكام إلى الشعب وإلى إرادة الشعب وإلى رأى الشعب هو الملاذ الوحيد وقت الاختلافات السياسية والصراعات الحزبية . لأن الشعب هو الذي يمنح لمن يشاء الأغلبية ويقول لمن يشاء انتم الأقلية ...؟! . الشعب هو الذي يختار من يمثلته والشعب هو الذي ينزع الصلاحية ممن يشاء . أليست تلك هى آليات الديمقراطية فى بلاد العالم الأول المتقدمة سياسيا ...؟ دعونا نتفق أن البديل لصندوق الانتخابات هو صندوق الذخيرة , وأن البديل للحكم المدني هو الحكم العسكري , وأن البديل للحرية هى العبودية , وأن البديل

لديمقراطية هي الديكتاتورية . هل هذه المفاهيم يمكن الاتفاق عليها ..؟ إذا كان الأمر كذلك فقد اقترب بعضنا من بعض وردمنا جانبا من الحفرة التي بيننا .

* التوافق يعنى ألا نلجأ للقوى الخارجية للاستقواء بها وقت الخلافات ولا يحرض بعضنا على بعض أعداء الوطن . التوافق ألا نناشد الرئيس الأمريكى بأن يتدخل فى الشأن المصري لنصرة طرف على طرف , ولضرب طرف لصالح طرف , فهذه عمالة وخيانة ونذالة ليس لها محل من الأعراب . من أراد العمل السياسي فليجأ إلى الشعب وليعرض نفسه عليه , وبعد ذلك الشعب هو الحكم من خلال صناديق الانتخابات . التوافق ألا نستدعى الجيش للتدخل فى السياسة ومناصرة جهة ضد جهة , وحزب ضد حزب , وجبهة ضد جبهة لأن قوة الجيش وأسلحته ومعداته هي موجهة فى الأصل ضد أعدائنا فى الخارج وليست لتصفية الحسابات السياسية بيننا . إن اتفقنا على هذا المبدأ فقد اقترب بعضنا من بعض وردمنا جانبا من الحفرة التي بيننا .

* التوافق يعنى أن نتفق جميعا وبلا استثناء على أن الدم المصري كله حرام , وعرض المصري وماله كله حرام . وأن هتك عرض المصريات واغتصابهن فى السجون والمعتقلات جريمة شنعاء فى حق هذا الشعب فى الماضي والحاضر والمستقبل . وأن اعتقال برئ واحد دون ذنب هو جريمة فى حق المصريين . دعونا نتفق أن إلقاء التهم على الناس دون أدلة واضحة ساطعة كالشمس , هو مصيبة أخلت بهذا الوطن . دعونا نتفق على استقلال مؤسسات الدولة فلا وصاية للسلطة التنفيذية على السلطة القضائية حتى تستقر العدالة فى هذا الوطن . دعونا نتفق على أن الشعب المصري قد بلغ سن الرشد ولا يحتاج من أحد لا فى الداخل ولا فى الخارج أن يكون وصيا عليه . هل من الممكن أن نتفق على هذا المفهوم؟

* إن الاختلاف فى وجهات النظر , والتباين فى الأفكار , وتنوع الأيدلوجيات , فهذا اسلامى , وهذا ليبرالي , وهذا يساري , وهذا اشتراكي , أمر مقبول فى مجتمع تعدادة 90 مليون نسمة . وهذا التنوع يؤدي إلى تنوع البضاعة المعروضة فى سوق السياسة , وعلى الزبائن وهم كل الشعب أن يختاروا البضاعة التي تحلو لهم ويرتاحون لهم وتحل لهم مشاكلهم وتوفر لهم لقمة العيش وفرصة العمل وعلبة الدواء وكوب الماء النقي النظيف وتتوافق مع عقيدة الأمة وهويتها . لكن أن تتحول الساحة إلى ميدان للتراشق وتبادل السهام والتخوين وإلقاء الاتهامات , فهذه ليست سياسة ولا اختلاق . وإنما بغضاء وشحناء لايعلم مداها إلا الله عز وجل .

* إن صناع التهم ومثيري الفتن يخسرون كل يوم شرائح كبيرة من الشعب بسبب شراسة طباعهم وغلظة قلوبهم ورداءة أخلاقهم وسوء سلوكهم وبذاءة ألسنتهم , حتى أوشكت الأرض أن تضيق عليهم بما رحبت . سئل الإمام على كرم الله وجهه عن أهل " الجمل " أمشركون هم؟؟ قال : " من الشرك فروا . قيل له : أمنافقون هم؟؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا . قيل له : فما هم؟؟ قال إخواننا بغوا علينا . هذا هو حكم الإمام على عليهم بعد حرب ضروس بينه وبينهم , نعتهم بالإخوة ودافع عنهم بكل قوة . لم يتهمهم بالإرهاب أو أنهم خرجوا عن حدود الإسلام . هذا هو منهج الإمام على السياسي فى الاختلاف . فيجب أن نتعلم من عظماء التاريخ أدب الاختلاف والتنوع . حرام أن تضرب مصر من الخارج بأسلحة التآمر والمتآمرين , ومن الداخل بسفاهة الحمقى والمغفلين . يجب أن نكف ألسننا وأيدينا عن القمم , وندرب أنفسنا على الشمم , ونترفع عن دنس اللمم , ونمر كراما على الرمم . وأهلا بكم فى وطن جديد بلا تراشق!؟